

المناسبة وأثرها في التشبيهات القرآنية

أ.م. د. عبدالوهاب حسين خلف الجبوري علي خالد ابراهيم اليوسف

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين ، وسَخَّرَ لنا ما في السموات والأرض له الحكم كله ، الحمد لله الذي لا شريك ولا ندَّ له ، أكمل علينا نعمه وآتانا من فضله .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، معلم الأمة وكشف به الله الغمة سيدنا وحبينا محمد - صلى الله عليه وعلى آل بيته - وسلم على أصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد:

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هو شريعةُ الأمةِ الإسلاميةِ ودستورها ، وهو الذي أنزلَ على آخرِ نبيِّ ، وعلى هذا فإنَّه خاتم الكتب السماوية وناسخها ، به ختمت الشرائع وانقطع الوحي من السماء ، فكان هذا الكتاب معجزاً على مرِّ العصور ، محققاً لطموح المجتمع وتقدمه وتطوره ونموه فجعله الله هدى لجميع البشر ، تكفل الله بحفظه وأبعد عنه سوء الإنسان وعمله ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] ، فحفظ الله به الدين الإسلامي الحنيف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأنزله الله سبحانه تعالى _ تحدياً للعرب أصحاب الفصاحة ، بأن يأتيوا بسورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك ، فأودع فيه من الفصاحة والبلاغة ما عجزت عنه البشرية ، وتميز بنقاء ألفاظه ورقه معانيه وجمال أسلوبه وصياغته ونظمه ، مما يجعل المتلقي متشوقاً لسماعه ، والتدبر في كشف معانيه ومقاصده ، فجاءت آياته مترابطةً ومتناسكةً ، متناسقةً المغزى والأسلوب ، يناسب بعضها البعض الآخر ، مترابطةً ألفاظه ومعانيه .

إذ إن هناك مناسبةً بين سورهِ ، وبين آياته ، وبين ألفاظه ومعانيه وبين بداية الآية وفاصلتها ، كل هذه المناسبات قد تكون ظاهرة وخفية ، أمَّا الظاهر منها مما اكتشفه الخلق ، وأمَّا الذي خفي فهو ما أستأثره الله بعلمه وقد يتنبه لها الدارسون والعلماء الراسخون في العلم فتفهموا ما أَرَادَهُ اللهُ _ عز وجل _ .

لقد أهتم دارسوا البلاغة بكتاب الله تعالى لأهميته بيد أنهم قلَّ اعتناؤهم بعلم المناسبة ، هذا العلم الجليل الذي عرفه بعضهم ، وأنكره البعض الآخر لأسباب ، ووقف بعضهم موقف الحياد من الطرفين ، وهذا مما دفعنا إلى دراسة علم المناسبة خدمة لكتاب الله ودينه قاصداً رضاه ، وبعد ملاحظتنا لبعض من

سبقنا في دراسة التشبيه في القرآن الكريم ، استجمعت قواي مُتَوَكِّلاً على العلي القدير ، وتشجيعاً من قبل أستاذي الدكتور عبدالوهاب حسين الجبوري ، الذي كثيراً ما شجعتني على دراسة هذا العلم الجليل - جزاه الله عني خير الجزاء -

لا شكَّ في أنَّ كثيراً من الدارسين قد تناول التشبيه بجميع صورهِ إلا أنهم لم يُعَرِّجوا على مفهوم المناسبة فيه ، فقد سبقني بعض الدارسين في التشبيه ولكنهم لم يتطرقوا الى المناسبة في التشبيه ولو بشيءٍ قليلٍ ، وحسبي أن أكون أوَّلَ من درس المناسبة في هذا المجال ، فقد رأيت رسالة الماجستير للأخ أحمد جمعة شوان (التشبيه في القرآن الكريم - دراسة بلاغية -) ، و (التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير) ، للطالب أحمد سالم الشهري ، وبعضهم تناول المناسبة وبيَّنها في السور ، وفي الآيات ، والمناسبة بين فواتح السور وفواصلها .

الأبصار لله وفاصلة اللطيف ومناسبة بين إدراك الله للأبصار وفاصلة الخبير، فإن معنى نفي ادراك الابصار للشيء يناسب اللطف ، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ؛ لأن المعهود عند المخاطب أن البصر لا يُدرك الأجسام اللطيفة ، كالهواءِ وسائرِ العناصرِ ، ولا الجواهر المفردة ، وإنما يُدرك اللونَ من كلِّ متلونٍ، والكون من كل متكون، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد، وكذلك قوله تعالى (وهو يدرك الابصار) ، فإن ذلك يناسبه وصف المدرك للخبرة ، وأنه سبحانه لما أثبت إدراك الأبصارِ ، أي ألباب الابصار التي نفي عنها إدراكه تكميلاً للتمح حسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدح واحترساً ممن يظن أنه إذا لم يكن مدركاً لم يكن موجوداً، فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائداً على معنى الكلام.

الثاني: وهي المناسبة اللفظية: (فهي عبارة عن الإتيان بلفظات مُتَرَنِّات مُعَقَّاة وغير مُعَقَّاة ، فالمُعَقَّاة مع الاتزان مناسبة تامّة ، والمُتَرَنِّة من غير التقفية مناسبة ناقصة، فالناقصة وردت في قوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢﴾

[٢-١] ناسب بين (المجيد) و(عجيب) للتقارب بين اللفظين في حرفي الدال والباء ، وهذا التقارب بين الحرفين يفسح المجال للتنويع اللفظي و المعنوي.

والتامة وردت في قوله ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢﴾

[القلم: ١ - ٢] فناسب بين (يسطرون) و(بمجنون) و(ممنون) في مقطع الواو والنون. وهذا التقارب التام هدفه التأثير في المُتَلَقِّي.

ومنه قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسٰكِلِهِمْ إِنَّتَ فِي ذَلِكَ لَآيٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ١ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ٢٧﴾

[السجدة: ٢٦ - ٢٧] ، يقول ابن أبي الأصبغ المصري: أنظر إلى صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة وإنما سمعوا بها (أولم يهد لهم) كما قال بالتالي بعدها (أولم يروا). وقال الله تعالى بعد الموعظة السمعية (أفلا يسمعون) وبعد الموعظة المرئية (أفلا يبصرون) لأن الزرع مرئي لا مسموع ليناسب آخر كل كلام أوله^(٧).

ومن أمثلة المناسبة التامة أيضاً ما جاء في السنة من قول الرسول محمد ﷺ _ مما كان يرقى به الحسين عليهما السلام (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة)^(٨)،

فقال (لامّة) ولم يقل ملّة وهي القياس ، ومثله قوله: (ارجعن مأزورات غير مأجورات)^(٩) فجعل (مأزورات) مهموزاً وحقه أن يكون بالواو لكنه هُمز لمزاوجة (مأجورات).

أثر المناسبة في تشبيه المنافق المعرض عن آيات الله بالذي يستضيء بنار ثم تذهب عنه.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] .

المشبه: المنافقون بأعمالهم .

المشبه به: الذي يستوقد ناراً ليستضيء بها .

أداة التشبيه: (مثل) وحرف التشبيه الكاف.

وجه الشبه: الضلال بعد الهدى كإطفاء النار. وهذا التشبيه تمثلياً لكون الصورة منتزعة من مشبهه، لغرض تقبيحهم، فشبه (المستوقد للنار وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بإنطفاء النار)^(١٠).

عندما أظهر المنافقون الإيمان وأخفوا الكفر في صدورهم أخزاهم الله وبيّنهم للناس ، فأخبرنا ربنا ﷺ عما في قلوبهم من تذبذب وتردد في اتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولأن كفرهم بمنهج الله تعالى مخفي عنّا ، قرّب الله وأظهره إلينا فقد أعقب تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة ، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل ، (لأنّ النفس إلى المحسوس أميل ، واتماماً للبيان بجمع المتفرقات في السمع، المطالعة في اللفظ، في صورة واحدة لأنّ للإجمال بعد التفصيل وقعا في نفوس السامعين)^(١١).

فلما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان^(١٢) ، فأخبر الله سبحانه عن مثل استنساء المنافقين، بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار ، وهم مستبطنون لغيره من إعتقاداتهم الرديئة^(١٣).

ولما أضاءت لا إله إلا الله طريقهم واهتدوا بها في الحياة الدنيا ، لم يعطوا الله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[الزمر: ٦٧] فهم بمنزلة المستوقد ناراً للإضاءة والنفع . إذ إنَّهم انتفعوا مادياً بالدخول في الإسلام ولكن لم يكن لهم مثل نوريٍّ في قلوبهم ، فذهب الله بما في النار من إضاءة، وأبقى ما فيها من الإحراق^(١٤).

فتبيَّن أنَّ في ضرب هذا المثل في القرآن ثلاث حكم أو مناسبات^(١٥):

الأولى: أنَّ المستضيء بالنار مستضيءٌ من جهة غيره ، لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمةٍ، فكأنَّهم لمَّا أقرُّوا بألسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم؛ كان نور ايمانهم كالمستعار .
والثانية: أنَّ ضياء النار يحتاج في دوامه إلى حطب، فهو له كغذاء الحيوان، فكذلك نور الايمان يحتاج إلى مادَّة الاعتقاد ليدوم.

والثالثة: أنَّ الظلمة الحادثة بعد الضوء أشدُّ على الإنسان من ظلمةٍ لم يجد معها ضياء ، فشبهَ حالهم بذلك . وكذلك أنَّ السياق القرآنيَّ (عَمِدَ لِلْأَفْظَانِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْمَعَانِي ، فَأَثَرَ اسْتِعْمَالَ النُّورِ دُونَ الضُّوءِ لِأَنَّهُ يَنَاسِبُ حَالَ الْمُنَافِقِينَ فِي ضَلَالِهِمْ وَبَعْدَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالنُّورِ الْحَقِيقِيِّ ، وَهُوَ نُورُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى) ^(١٦).

ومن خلال هذا العرض المجمل لآراء بعض العلماء لهذه الآية فإنَّ المناسبة قد اتَّضحت جلياً من خلال الامتداد بين أواخر سورة الفاتحة وسورة البقرة، إذ إنَّ سورة الفاتحة تناولت ثلاثة أصناف من الناس على وجه الاجمال ثم تناول القرآن الكريم في سورة البقرة هذه الاصناف بالتفصيل^(١٧). فكان من مناسبة تشبيه المنافقين بالذي استوقد ناراً (أنَّ مستوقد النار يدفع بها الأذى عن نفسه، فاذا انطفأت وصل الأذى إليه كذلك المنافق يحقن دمه بالإسلام ويبيحه بالكفر، ولأنَّ المنافق عندما أظهر الإسلام فإنَّه حَقَّقَ به دمه ومشى في حرمة وضيائه ثم سلبه في الآخرة عند حاجته إليه)^(١٨).

ولو طابقنا هذا المثل لما تقدَّم من قوله _تعالى_ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

[البقرة: ١٦]، لوجدنا أنه (طابق بين هذه التجارة الخاسرة التي تضمّنت حصول الضلالة والرضى بها، بدلاً عن النور الذي هو الهدى والنور، فبدّلوا الهدى والنور، وتعوّضوا عنه بالظلمة والضلالة)^(١٩). فشبّه الله -تعالى- الإيمان بالنور والكفر بالظلمة (فهو في كتاب الله تعالى كثير، والوجه فيه أنّ النور قد بلغ النهاية في كونه هادياً إلى المحجّة وإلى طريق المنفعة وإزالة الحيرة وهذا حال الإيمان في باب الدين، فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا، وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة، لأنّ الضالّ عن طريق المحتاج إلى سلوكه لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحرير أعظم من الظلمة، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر)^(٢٠). فأخبر الله عن حالهم بالنسبة إلى حظّهم من الوحي، (وأنتهم بمنزلة ناراً لتضيء له وينتفع بها، وهذا لأنّهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به، وانتفعوا به، وآمنوا به، وخالطوا المسلمين، ولكن لمّا لم يكن لصحبته مائة في قلوبهم من نور الاسلام؛ طفئ عليهم وذهب الله بنورهم ولم يقل: بنارهم، فإنّ النار فيها الاضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الاضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الاحراق. وتركهم في ظلمات لا يبصرون)^(٢١). فهم قد استحبوا الكفر على الايمان إذ إنهم (لم يعرضوا عن الهدى ابتداءً، ولم يصموا عن السماع، وعيونهم عن الرؤية وقلوبهم عن الإدراك، كما صنع الذين كفروا. ولكنهم استحبوا العمى على الهدى بعد ما استوضحوا الأمر وتبيّنوه... لقد استوقدوا النار، فلما أضاء لهم نورها لم ينتفعوا بها وهم طالبوها، عندئذٍ "ذهب الله بنورهم" الذي طلبوه ثم تركوه: "وتركهم في ظلمات لا يبصرون" جزء إعراضهم عن النور!)^(٢٢). فهو صورة في إسراع الغناء لانقطاع ما فيه من مدد البقاء.

أثر المناسبة في تشبيه الكافر الذي يعرض عن آيات الله بالكلب الذي يلهث.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَنَأْتِيَنَّاهُ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنبَعِهُنَّ فَثَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِرْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦].

المشبه: الكافر.

المشبه به: الكلب.

الأداة: الكاف.

غرض التشبيه: تقييح المشبه.

شبه الله - تعالى - رجلاً ضالاً (أختلفت الآراء في تحديد شخصيته) وما في نفسه من اضطراب في مدة البحث عن دينه ، وشقاؤه في إعراضه عن دين الحق عند ظهوره بحالة الكلب الذي يلهث دائماً ، في حالة التعب أو الراحة ، بأداة تشبيه هي (الكاف) وفعل التشبيه (مثل)، للمشابهة بينهما في حالة اللهث سواء في التعب أم الراحة ، ولغرض مقصود هو تقييح المشبه . ومعنى الآية (أن الكافر التارك لآيات الله العادل عنها الذي لا يصلح شيء كالكلب في لهته ولو دبرته بكل شيء لم تتركه ولم ينزع عنه ولذلك ذكر الشيء وضده)^(٢٣). لقد شبه القرآن الكريم في هذه الآية (حال الكاذب بآيات الله في إصرار على ضلاله في جميع أحواله كالكلب في إدامة اللهثان فهي صورة فنية رائعة أحكم القرآن الكريم صياغتها، تكشف في جلاء ووضوح عن حقيقة هذا الكاذب الضال ، إنه حقير قدر، لا يؤثر فيه النصح والإرشاد ولا ينفع معه الوعظ والتذكير فقد ركب رأسه ، ولجَّ في ضلاله ، واتخذ الشيطان إلهاً من دون الله - تعالى -)^(٢٤).

فضرب الله هذا المثل للذي أتته آيات الله - سبحانه وتعالى - واضحة كوضوح الشمس في وسط النهار ، ثم لم يعمل بها وتركها وراء ظهره فشبهه بالكلب الذي من طبيعته الخلقية اللهث في جميع الأحوال ، إذ يحوي جلد الإنسان على فتحات خاصة للتعرق وتنظيم حرارة الجسد والحماية من الجراثيم، ولكن الله حرّم الكلب من هذه النعمة فلا يوجد على جلده إلا القليل من الفتحات ولذلك فإنه يلهث باستمرار لتنظيم حرارة جسده، هذا المثل عام في كل من أوتي القرآن ، فلم يعمل به وقيل : هو في كل منافق^(٢٥). فنتيّن أثر المناسبة في هذا التمثيل ، إذ إنه - تعالى - شبهه بالكلب (الذي صفته مثل في

الخسة والضعفة ، كصفة الكلب في أحسن أحواله ، وأذلها ، وهي دوام اللهث ، به وإتصاله ، سواء حُمِلَ عليه أي شُدَّ عليه ، وهيج فَطْرِدَ - أو تُرِكَ غير متعرِّضٍ له بالحمل عليه؛ وذلك أنَّ سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وَحْرِكَ ، وإلا لم يلهث ، والكلب يتَّصلُ لهثه في الحالتين جميعاً وأنَّ الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه ، أو لم يحمل عليه... وقيل إنَّه حلقيُّ العين^(٢٦).

ويقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله- : في تشبيهه من أثر الدنيا وعالجها على الله والدار الآخرة بالكلب في حالة لهثه، سرُّ بديع ، وهو أنَّ هذا الذي ذكره حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته وتباعه هواء: إنَّما كان لشدة لهفه على الدنيا ، لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة . فهو شديد اللهف عليها ، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه فهو لا يطيع أحداً ولا يستجيب للإيمان سواءً استخدمنا معه القوة أو الرفق ، فهكذا مشبهه: شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث ، فإن حملت عليه بالنصيحة والموعظة فهو يلهث ، وإن تتركه ولم تعظه فهو يلهث^(٢٧). وهذه إحدى العلل التي جاء من أجلها التشبيه. إذ إنَّ هذه الصفة التي في الكلب إنَّما هي أخسُّ حالاته وأقبحها ، فضربه الله -تعالى- مثلاً لهذا الكافر ، إن وعظته وذكرته بآيات الله فهو إزعاجه وتركه إزعاج ، فهذا يلهث على الدنيا لقلَّة صبره عليها وهذا يلهث لقلَّة صبره على الماء^(٢٨).

وبما أنَّ الكلب لا يطيع أحداً في ترك لهثه ، (فإنَّ الكافر أيضاً كافرٌ لا محالة ، لا يسمع ولا يتعظُّ ، كلهث ذلك الكلب في حالة الرخاء وعدم العطش ، وإن ﴿ؤؤ﴾ إن وعظته لم يتعظُّ ، وإن تركته لم يتعظُّ، فهو ملازمٌ كفرانه وعصيانه على جميع الحالات^(٢٩). فلما كان كذلك ناسب المثل حالته لأنَّه (قلب الكافر والمنافق والضالِّ ضعيفٌ فارغ من الهدى ، فهو كثير الوجيب فعبر عن هذا بهذا)^(٣٠). هذا ومن كان قد آتاه الله الدين (فأعرض عنه ومال إلى الدنيا ، وأخذ إلى الأرض كان مشبهاً بأخسِّ الحيوانات وهو الكلب اللاهث...فهو ملازم لحالته في التعب والراحة فهو مواضب على حالته الأصلية ، وكذلك من آتاه الله العلم والدين ، أغناه عن التعرُّض لأوساخ أموال الناس ، ثم يميل إلى طلب الدنيا ويلقي نفسه فيها ثم كانت حاله كحال ذلك اللاهث، إذ واضب على العمل الخسيس ، والفعل القبيح ،

لمجرد نفسه الخبيثة ، وطبيعته الخسيسة ، لا لأجل ضرورة^(٣١). فهو لا يهتدي مهما دعوته فإن حملت الحكمة عليه لا يحملها فهو كالكلب الذي يلهث في جميع أحواله، لا يتبع إلا هواه وما تشتهي نفسه، فقد (مثل الله سبحانه وتعالى_ لذلك الإنسان الذي مال إلى الدنيا ولم ينفع معه وعظ ولا ارشاد، فهو ضالٌ كالكلب لا يقدر لنفسه على ضيرٍ أو نفعٍ فهو لاهتٌ إن حملت عليه وطردته^(٣٢)).

فمثلما أن الله سبحانه_ قد انتزع المسامات من جسم الكلب ، ليبقى لاهتاً في جميع أحواله وأن الكلب لا فؤاد له ، فقد انتزع فؤاد الكافر الذي لا يأخذ بكلام الله وعلمه ودينه ، فتراه ساعياً وراء الدنيا لاهتاً في جميع أحواله (فهي صورة شاخصة، فيها الحركة الدائبة ، وهي صورة معهودة فهي في تثبيت المعنى المراد بها أشد وأقوى^(٣٣)).

أثر المناسبة في تشبيه بني إسرائيل بالحمار يحمل أسفاراً .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَا مَثَلُ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِشَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] ،

المشبه: اليهود- الذين كلفوا بتطبيق التوراة.

المشبه به: الحمار- يحمل أسفاراً.

الأداة: الكاف.

الغرض: التحقير لهم والتبكيك والزراية عليهم.

شبه الله تعالى اليهود الذين جاءتهم آياته ثم أعرضوا عنها ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بها، بالحمار البليد الذي يحمل أسفاراً ، فوق ظهره ولا يعلم قيمتها ومدى انتفاعه بها ، بأداة التشبيه (الكاف) ، لعلاقة المشابهة بينهما وهي البلادة والغباء وعدم الانتفاع ، لغرض تحقيرهم .

حمل الأخبار المعاصرون لرسول الله محمد ﷺ أمانة التكليف بأوامرها ونواهيها ثم لم يطيعوا أمرها فكذبوا برسالته التي نطق التوراة بها ، فكان كل حبر لم ينتفع بما حمل كمثل الحمار يحمل أسفاراً من الذهب والأشياء الثمينة أو شيء من الأحمال الرديئة كالزبل مثلاً فيستوي عنده الحملان من الذهب والزبل وغيره فيكون ذلك عنده بمنزلة واحدة (٣٤).

فعندما كفر بنو إسرائيل بآيات الله تعالى وجدوا بأنعمه ولم يحملوا الأمانة التي أمّنهم الله إياها فشبّههم في أنهم حملوا التوراة وقرؤها وحفظوا ما فيها ، ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أنّ فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به ولم يؤمنوا به - بالحمار يحمل أسفاراً ، أي كتبها كباراً من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمرّ بجنبه وظهره من الكذب والتعيب (٣٥).

فهم لم يعملوا بالتوراة ولو عملوا بها لما شبّههم الله تعالى بالحمار ، (وهذا تشبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء) (٣٦). ويقول ابن القيم (٣٧): إنّه من جهلهم أنّ الله تعالى شبّههم في حملهم للتوراة ، وعدم الفقه فيها والعمل بها بمن يحمل أسفاراً ، وفي هذا التشبيه من النداء على جهالتهم وجوه متعدّدة:

فمنها: أنَّ الحمارَ من أبلد الحيواناتِ التي يُضربُ بها المثلُ في البلاد
ومنها: أنَّه لو حَمَلَ غير الأسفار من طعامٍ أو علفٍ أو ماءٍ لكان له شعورٌ بخلافِ الأسفارِ .
ومنها: أنَّهم حَمَلوها لا أنَّهم حَمَلوها طوعاً واختياراً بل كانوا كالمكلفين لِمَا حَمَلُوا ولم يرفعوا به رأساً .
ومنها: أنَّهم حين حَمَلوها تكليفاً وقهراً لم يرضوا بها ولم يحملوها رضياً واختياراً .
ومنها: أنَّها اشتملت على مصالح معاشهم ومعادهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، فإعراضهم عن التزام ما
فيه سعادتهم و فلاحهم الى ضدّه من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطنة^(٣٨) . وبما أنَّهم كذلك فقد استحقّوا
هذا التشبيه الذي صوّره بأدقِّ تصويرٍ . (ولمّا كان المثل الجامع لهما -وهو وجه الشبه- شخصاً مثقلاً
متعباً جدّاً بشيء لا نفع له به أصلاً، فهو ضرر عليه صرف لا يُدرك ما هو حامله غير أنَّه متعب ولا
يدري أصخر هو أم كتب ، أتبع قوله معبراً بالأداة التي هي لجامع الذمّ ترهيباً للآدميين من أن يتهاونوا
بشيء من أحكام القرآن الكريم فيكونوا أسوأ مثلاً من أهل الكتاب فيكونوا دون الحمار)^(٣٩) .
فهذا من باب المناسبات بين المشبّه والمشبّه به ، فهو كالحمار البليد، الذي لا يفقه ما يحمل فوق
ظهره فتتساوى راحلته ، ويستوي عنده الحملان الجيّد والرديء، وهذا ممّا ضربه الله من أمثال والله
تعالى أعلم - لتحقير أخبار اليهود وكل من حَمَلَ آيات الله ولم يُبلغها بعدهم. ومن العلل الأخرى من
وراء هذا التشبيه (عدم الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمّل التعب في استصحابه فالحامل لهذه الأسفار لا ينتفع
بها ، فهو يحتمل المشقّة والتعب في استصحابها ولا يجني من وراء تعبهِ فائدة)^(٤٠) .

أثر المناسبة في تشبيه الذين يفرون من آيات الله بالحمير المستنفرة التي تفر من القسورة.

﴿فَاتَّفَعَهُمْ شَفْعَةُ الشَّفِيْعِينَ ﴿٤٨﴾ فَأَلْهَمَهُمُ الْغِيْبَ ﴿٤٩﴾ فَكَانَ لِمَنْ أَهْلَكَ الْأَسَدُ مِنَ الْغِيْبِ ﴿٥٠﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥١﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٢﴾﴾ [المدثر: ٤٨ - ٥١].

شبهه الله - تعالى - الذين يعرضون عن آياته واتباع سنة نبيه ، بمجموعة من الحمير الوحشية التي تفر من الأسد أو الصياد ، بأداة التشبيه (كأن) ، لعلاقة المشابهة بينهما وهي الجهل والبلادة والغباء ، لغرض تحقيرهم .

أعرض الكافرون عن آيات الله - تعالى - (فَشَبَّهَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ وَأَسْتَمَاعِ الذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ وَشِرَاطِهِمْ عَنْهُ ، بِحَمْرٍ جَدٍّ فِي نِفَارِهَا مِمَّا أَفْرَعُهَا)^(٤١) . وكما أن الحمير تفر عندما ترى الأسد فإن الكافرين يفرّون عندما يرون آيات الله تتلى عليهم وأن هؤلاء المشركين (إذا رأوا النبي محمداً ﷺ) هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد^(٤٢) . وفي تشبيههم بالحمير المستنفرة (مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين) ^(٤٣) . وهو (شهادة عليهم بالبله وقله العقل . ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائبٌ ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدة سيرها بالحمير وعدوها اذا وردت الماء فحسنت بقانص)^(٤٤) .

وقد أحكم الله - تعالى - صياغة المثل إذ إن (هذا من بدیع القياس والتمثيل ، فإنّ القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر ، وهي لا تعقل شيئاً ، فاذا سمعت صوت الاسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور ، وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها)^(٤٥) .

وهكذا يتضح أثر المناسبة بين المشبهين ، ومن الأسباب التي دعت إلى هذا التشبيه أيضاً أنه قد جاء المثل (إشارة إلى بلوغهم الغاية القصوى في الجهل والبلادة والغباء إذ يضرب بالحمير الوحشية في الحمق والبلادة ، وهل ثمة أشد حمقا وغباء ممن يعرض عما فيه نجاته ، وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة

فإعراض هؤلاء المشركين عن هذه التذكرة دلالة واضحة على شدة غيائهم وفرط بلاذتهم^(٤٦). فناسب إعراضهم عن آيات الله وأحكامه عندما تعرض عليهم بسرعة ، نفور الحمر الوحشية عندما تقرأ من الأسد أو القانص ، فقد صورها ربنا _جل وعلا_ أحسن وأدق تصوير ، وهذا ليس بجديد على أسلوب القرآن ، كيف لا وهو المعجزة التي أدهشت فصحاء العرب .

ومن دقة ما جاء به القرآن الكريم من تصوير لحال هؤلاء الفارين ، فرمما يكفي في تصوير إعراضهم وصفهم كالحمير ، ولكنهُ في دقته لا يكتفي بذلك فقد صورَ نفرتهم من الدعوة واسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها إسراعاً يمضون فيه على غير هدى فوصف الحمر بأنها {مستنفرة} تحمل نفسها على الهرب وتحثها عليه، يزيد في هربها أسد هصور يجري خلفها فهي تتفرق في كل مكان ، وتجري غير مهتدية في جريها ، إذ إنَّ هذه الحمر لا تلوِي على شيء سوى الفرار من أسد، يناسب جري هؤلاء فارين أمام الدعوة لا يلوون على شيء سائرين على غير هدى^(٤٧).

أثر المناسبة في تشبيه الزوجين باللباس .

﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَدُّوا هُنَّ وَأَنْتُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبِغَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧]

المشبه: الزوج والزوجة .

المشبه به: اللباس .

وجه الشبه: الستر والحفاظ على بعضهما في خلوة الآخر .

غرض التشبيه: تزيين المشبه ، وحذف الأداة ووجه الشبه للمبالغة في التشبيه .

خلق له من ضلعه حواء لتكون شريكته في الحياة ، فقال ﷺ ﴿لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤُرُكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَالَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرِّجَالَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ، إذ إنَّه - تعالى - خلق الزوجين الذكر والأنثى ، فجعل كل واحدٍ منهما بمثابة السكن للآخر ، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم .

فأراد الله - تعالى - من تشبيه كل واحدٍ منهما باللباس (لإفضاء كل واحدٍ ببشرته إلى بشرة صاحبه ، فكنى عن اجتماعهما متجردين باللباس ، فالعرب تسمي المرأة لباساً وإزاراً)^(٤٨) . فالمرأة ستر للرجل والرجل ستر للمرأة فكل واحدٍ منهما (يستر صاحبه عما لا يحل ، فهي لباس الرجل ، من حيث إنَّه يخصها بنفسه ، كما يخص لباسه بنفسه ويراهم أهلاً لأن يلاقي كل بدنه بدنهما كما يعمل في اللباس ، ويحتمل أن يكون المراد ستره بها عن جميع المفاصل التي تقع في البيت ، لو لم تكن المرأة حاضرة ، كما يستر الإنسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار)^(٤٩) .

لذا فإنَّ وجه المناسبة يتضح من خلال تشبيههما باللباس (لانضمام الجسد إلى الجسد ، وامتزاجهما وتلازمهما تشبيهاً بالثوب)^(٥٠) . فإنَّهما عندما (يتعانقان ويشتمل كل واحدٍ منهما على صاحبه في العناق ؛ شبيه كل واحدٍ منهما باللباس الذي يشتمل على الإنسان)^(٥١) .

ويذكر البقاعي من أمر المناسبة أنه (لَمَّا كَانَ الرَّفَثُ وَالْوَقَاعُ مَتَلَازِمِينَ غَالِبًا قَالَ مُؤَكِّدًا لِإِرَادَةِ حَقِيقَةِ الرَّفَثِ وَبَيَانِ السَّبَبِ فِي إِحْلَالِهِ { هُنَّ } أَي نَسَاؤُكُمْ { لِبَاسٍ لَكُمْ } تَلْبَسُونَهُنَّ : وَالْمَعْنَى أُبَيِّحُ ذَلِكَ فِي حَالَةِ الْمَلَابِسَةِ أَوْ صِلَاحِيَّتِهَا فَقَدَّمَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ، لِأَنَّ اللَّبَاسَ لَا غِنَى عَنْهُ وَالصَّبْرَ يَضْعَفُ عَنْهُمْ حَالِ الْمَلَابِسَةِ وَالْمَخَالِطَةِ ، وَلَمَّا كَانَ الصِّيَامَ عَامًّا لِلصَّنْفَيْنِ قَالَ { وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ } { يَلْبَسْنَكُمْ }^(٥٢) .

فجعل الله بينهما مودةً ورحمةً ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ ﴿

[الفرقان: ٤٧ - ٤٨] . إذ إنه تعالى أراد به السكن والطمأنينة، وأن هناك شروط يجب توفُّرها في اللباس عند تشبيه النساء والرجال به هي^(٥٣): الخصوصية والطهارة والستر، وهذا ممَّا يوضح أثر المناسبة في هذا التشبيه.

أثر المناسبة في تشبيه النساء بالحرث .

﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

المشبه: الزوجة .

المشبه به: الحرث .

وجه الشبه: الإنتاج .

غرض التشبيه: بيان حال المشبه ، وحذف وجه الشبه وأداة التشبيه للمبالغة في التشبيه وبيان شدة التشابه بين المشبهين .

التكاثر والإنجاب غريزة فطر الله تعالى الناس عليها فجعلهم متفاوتين فيها ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّمَا يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّمَا يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ۝ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠] ، فهم زينة الحياة الدنيا ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِكِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: ٤٦] ،

فالإنسان يتكاثر بما يحصل من تلاقح بين الزوجين فشبه الله تعالى موضع التكاثر عند الزوجة بالحرث (فقال { حرث لكم } تشبيها لما يلقي في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم ، أي جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحداً وهو موضع الحرث) (٥٤).

فذكر الله تعالى (الحرث وأراد موضع الزرع : وهو مكان الولد ، فلما نص الله تعالى على الحرث ، والحرث به يكون النبات ، والولد مشبه بالنبات) (٥٥) . ويتضح أثر المناسبة بين المشبهين فيما أن الحرث (مزرع ومنبت للولد ، وفرج المرأة كالأرض ، والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات الخارج ، فسمي موضع الشيء بالشيء على سبيل المبالغة) (٥٦).

وهناك ترابط ومناسبة مع الآية التي قبلها إذ إنه تعالى (لما بين المأتي ، نوع بيان أوضحه مشيراً إلى ثمرة النكاح الناهية لكل ذي لب عن السفاح ، فقال { نساؤكم } أي اللاتي هنَّ جلُّ لكم بعقد أو ملك



يمين . ولمّا كان إلقاء النطفة التي يكون منها النسل كالإلقاء البذر الذي يكون منه الزرع شيّهم بالمحارث ، دلالة على أنّ الغرض الأصل طلب النسل ، فقال مسمياً موضع الحرث باسمه موقعا اسم الجزء على الكلّ موحداً لأنّ فرج المرأة { حرث لكم }^(٥٧) .
فكما أنّ الحرث ينتج النبات ، فكذلك الفرّج ينتج الأولاد . فالمناسبة مناسبة إخصابٍ وتكاثرٍ ونماءٍ .

أثر المناسبة في تشبيه الحياة الدنيا ووصفها باللغو واللعب .

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُحْمٌ وَأَعْيُنٌ مَّرْكُومَةٌ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] ،

المشبه: الحياة الدنيا .

المشبه به: اللغو واللعب .

وجه الشبه: الانشغال وعدم الانتفاع مما أعطاه الله تعالى_ والانقطاع عن النافع.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه والاستهزاء به وتهوين أمره ، وحذف وجه الشبه والأداة لبيان شدة المبالغة بينهما .

إنما خلق الله تعالى_ الحياة الدنيا ، ليجتهد فيها العاملون ، ويسعى فيها الراكعون، ويجازى فيها المنقون ، وأن الدنيا لا تساوي جناح بعوضة عنده ، فإذا اغتم الإنسان الفرصة وأدى حقَّ الله تعالى_ وحقَّ عباده فقد فاز ، وإذا عصا الله وبخس حقَّ العباد فقد خسر وخاب ، ومن المناسبات التي من أجلها جيء بالتشبيه هو أن المنكرين للبعث والقيامة تعظم رغبتهم في الدنيا وتحصيل لذاتها ، فذكر الله تعالى_ هذه الآية تنبيهاً على خساستها وركاكتها ، واعلم أن نفس هذه الحياة لا يمكن نَمَها لأن هذه الحياة العاجلة لا يصحُّ اكتساب السعادات الأخروية إلا فيها ، فالمراد منها حياة الكفار وحياة أهل الشرك والنفاق والسبب في وصف حياة هؤلاء بهذه الصفة أن حياة المؤمن يحصل فيها أعمال صالحة فلا تكون لعباً ولغواً^(٥٨).

فلما ذكر (الله تعالى_ قولهم { وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا } ، ذكر مصيرها ، وإن منتهى أمرها ، أنها فانية منقضية عن قريب ، فصارت شبيهة باللغو واللعب ، إذ هما لا يدومان ، ولا طائل لهما ، كما أنها لا طائل لها ، فاللغو واللعب اشتغال بما لا غنى به ولا منفعة ، كذلك هي الدنيا ، بخلاف الاشتغال بأعمال الآخرة فإنها التي تعقب المنافع والخيرات ، فهذه حياة الكافر ، لأنه يزجها في غرور وباطل ، وأما حياة المؤمن فتطوى على أعمال صالحة^(٥٩).

وعلى ما يبدو أن السبب من التشبيه هو أن الحياة الدنيا ، إذا كانت خارجة عن مرضاة الله تعالى_ كانت مجرد حياة عبثية لا طائل منها سوى قتل الوقت والتلذذ بالمعاصي وصدِّ عن سبيل الله فكانت كاللغو واللغو الذي لا يُجنى منهما شيء سوى الشقاء ، (ولمَّا جرى ذكر الساعة وما يلحق المشركين

فيها من الحسرة على ما فرطوا ناسب أن يُذَكِّرِ الناسَ بأنَّ الحياةَ الدنيا زائلةٌ وأنَّ عليهم أن يستعدُّوا للحياة الآخرة (٦٠).

فلما كان اللعب (عملٌ أو قولٌ في خَفَّةٍ وسرعةٍ وطيشٍ ليس له غايةٌ مفيدةٌ بل غايته إراحة البال وتقضي الوقت واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وعقل المتعب ، واللهو ما يشتغل به الإنسان ممَّا ترتاح إليه نفسه ولا يتعب في الاشتغال به عقله ، فلا يطلق إلَّا على ما فيه استماع ولذَّةٌ ملائمةٌ للشهوة) (٦١) ، ناسب تشبيه الحياة التي من صفاتها الطيش وقضاء الوقت والغرق في المعاصي والشبهات .

ولمَّا كان السياق للخسارة (وكانت أكثر ما تكون من اللعب وهو فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع ، ويسرع انقضاؤه ، قدَّمه فقال: { إلَّا لعب ولهو } أي للأشقياء ، وللحياة الدنيا شرًّا للذين يلعبون ، واللهو ما من شأنه أن يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء على وجه لم يؤذن فيه ، فيكون سببًا للغفلة عمَّا ينفع ، لذا فإنَّه تحقَّق من هذه الآيات زوال الدنيا ، فتحقَّقت سرعته ، لأنَّ كلَّ آتٍ قريبٌ ، فحينئذ ما هي إلَّا ساعة لعب، يندم الإنسان على ما فرط فيها كما يندم اللاعب إن كان له عقلٌ على تفويت الأرباح إذا رأى ما حصل أولو الجِدِّ وأرباب العزائم) (٦٢).

ومن المناسبات الأخرى أنَّه _تعالى_ شبَّه الحياة الدنيا باللعب واللهو لأنَّ مدَّة اللهو واللعب قليلة سريعة الانقضاء والزوال ، ومدَّة هذه الحياة كذلك ، وأنَّ اللعب واللهو لا بُدَّ وأنَّ ينساقا في أكثر الأمر إلى شيءٍ من المكاره ، ولذات الدنيا كذلك ، وأنَّ اللعب واللهو إنَّما يحصل عند الإغترار بظواهر الأمور ، وأمَّا عند التأمل التام والكشف عن حقائق الأمور ، لا يبقى اللعب واللهو أصلًا ، وكذلك اللهو واللعب ، فإنَّهما لا يصلحان إلَّا للصبيان والجُهَّال المغفلين ، أمَّا العقلاء والحصفاء فقلَّما يحصل لهم خوض في اللعب واللهو ، فكذلك التلذُّذ بطيبات الدنيا والانتفاع بخيراتها لا يحصل إلا للمغفلين الجاهلين بحقائق الأمور وأمَّا الحكماء المحقِّقون ، فإنَّهم يعلمون أنَّ كلَّ هذه الخيرات غرورٌ ، وليس لها في نفس الأمر حقيقةٌ معتبرة وكذلك أنَّ اللهو واللعب ليس لهما عاقبةٌ محمودةٌ ، فثبت بمجموع هذه الوجوه أنَّ اللذات والأحوال الدنيويَّة لعبٌ ولهوٌ وليس لهما حقيقةٌ ومعتبرٌ (٦٣) ، وممَّا ورد في كتاب الله في مثل هذا التشبيه في آياتٍ أخرى ، ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤] ،

وقال أيضا : ﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠] . وعلى هذا فإن الدنيا حقيرة لا وزن لها في ميزانه _ جلَّ وعلا _ .
_ أثر المناسبة في تشبيه الذي يأكل الربا ويقوم يوم القيامة كالمصروع .

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥]

المشبه: صفة قيام المرابين يوم القيامة الذين يأكلون الربا .
المشبه به: المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس .
أداة التشبيه: (الكاف) .

وجه الشبه: اضطرابهم و عدم استقامة حركاتهم.

غرض التشبيه: تحقيرهم وتقبيحهم والتنبيه على الاقلاع عن الربا لما فيه من ضررٍ على المسلمين .
وتحتوي الآية على نوع آخر من التشبيهات وهو: التشبيه المقلوب ، إذ شبه البيع بالربا لإيهام أن المشبه به أتم من المشبه ، في وجه الشبه وهو الإباحة .

بسبب أكلهم الربا في الحياة الدنيا إذ حرّمه الله _ تعالى _ على عباده لما فيه من ضررٍ عليهم فإنهم يقومون يوم القيامة (كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبئين كالمصروعين ، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف ، وقيل الذين يخرجون من الأجدات يوفضون ، إلَّ أكله الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين ، لأنهم أكلوا الربا فأرياه الله في بطونهم حتى أتقلهم فلا يقدرّون على الإيفاض وذلك بأنهم شبّهوا الربا بالبيع فاستحلّوه) (٦٤) .

ومن العلل التي ذُكرت من أجلها الآية (أنّ ما قبلها وارد في تفضيل الإنفاق والصدقة في سبيل الله ، وأنّه يكون ذلك من طيبٍ ما كسب ، ولا يكون من الخبيث فذكر النوع الغالب عليهم في الجاهلية ، وهو خبيث ، وهو الربا حتى يمتنع من الصدقة بما كان من ربا ، وهنا تظهر مناسبة أخرى ، وذلك أن الصدقات فيها نقصان مال ، فاستطرد من الأمور به إلى المنهي عنه لما بينهما من مناسبة ذكر

التضادّ وأبدى لأكل الربا صورة تستبشعها العرب على عاداتها في ذكر ما استغريته واستوحشت منه كقوله تعالى { طلعتها كأنه رؤوس الشياطين } (٦٥).

وذكر الأكل إنّما هو أعظم منافع المال ، ولأنّ الربا شائع في المطاعم فهم لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ ، وهو الذي يتخبّطه فيصرعه (٦٦).

فمثلا أنّ المرابي قد أكل أموال الناس بالباطل وتسبّب في إيدائهم فهو (يستبيح جهد الناس وعرقهم ، فيجرمهم لذّة الاستقرار النفسي ، وربّما ينتج عن ذلك كثير من الآلام والأمراض النفسيّة أو الجسديّة ، فعاقبه الله جزاء عمله فهو يوم القيامة بعيد كلّ البعد عن الاستقرار النفسي ، وراحة الجسم ، وسلامة العقل فجزاه الله بمثل ما جزى الناس في الدنيا ، وهل الجزاء إلا من جنس العمل) (٦٧).

أثر المناسبة في تشبيه نساء الجنة بالبيض المكنون .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الظَّرْفِ عِينٌ ﴿٦٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الصافات: ٤٨ - ٤٩]

المشبهة: نساء الجنة .

المشبه به: بيض النعامة المكنون.

أداة التشبيه: (كأن) .

وجه الشبه: الرقة والصفاء والجمال .

غرض التشبيه: تزيين المشبه .

، (قصرن أبصارهنَّ على أزواجهنَّ ، لا يمددن طرفاً إلى غيرهم ، وشبههنَّ ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبَّه العرب النساءَ وتسميهنَّ بيضات الخدور) (68). فشبه ألوانهنَّ بلون قشر البيضة الداخل - وهو غرقىء البيضة وهو المكنون في كُنِّ وقيل :الجوهر المصون فهو تشبيه عامٌ لجُملة المرأة بجُملة البيضة (69). (والعرب تشبَّه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها، وتقول إذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة : كأنه بيض النعام المغطى بالريش ، وقيل :المكنون :المصون عن الكسر ؛ أي أنهنَّ عذاري، وقيل : المراد بالبيض المكنون كقوله تعالى ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٦٨﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِ الْمَكْنُونِ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣] أي: في أصدافه) (٧٠).

وممَّا ذكر في كلام العرب قولُ امرئ القيس (٧١):

وبيضة خدرٍ لا يرامُ خباؤها
تمتعت من لهوٍ بها غير مُعجلٍ

ومن تمام المناسبات أنه عندما (كان أحسن الألوان عند العرب الأبيض الأحمر المشربُّ صفرة أكسبته صفاءً وإشراقاً وبهاءً قال { كأنهنَّ بيضٌ } أي ببيض نعامٍ { مكنون } أي مصون من دنسٍ يلحقه ، وغبارٍ يرهقه ، ولمحبَّة العرب لهذا اللون كانت تقول عن النساء بيضات الخدور لأنَّ لونه أبيض مشرباً صفرةً صافيةً) (٧٢).

فالأمثال في القرآن لم تأتِ إلَّا من أجل بيان شيء وهي محكومة الصياغة وبينها تناسب ، ولذلك ذكر هذا المثل (وأراد بذلك تناسب أجزاء المرأة وأنَّ كلَّ جزءٍ منها نسبته في الجودة الى نوعه نسبة الآخر من

أجزائها إلى نوعه ، فنسبة شعرها إلى عيناها مستوية ، إذ هما غاية في نوعها . والبيضة أشد الأشياء تناسب أجزاء ، لأنها من حيث حسنها في النظر واحد .

كقول بعض الأدباء يتغرل :

تناسبت الأعضاء فيه فلا ترى بهنَّ اختلافاً بل أتيتنَّ على قدرٍ (٧٣)

والذي يبدو لنا من تشبيه نساء الجنة بالبيض المكنون أنه لشدة غيرة العرب المسلمين على نساءهم وأنهم لا يحبون أن يراهن أحد ، فإن الله سبحانه أراد أن يطمئنهم بأن هؤلاء النسوة لا يراهن أحد سواهم ، فهي كالبيضة حسنة ذات لون جميل ، لا يرى ما بداخلها .

لذلك قال الله تعالى - ﴿فِي آيَةِ الْآءِ زَكَاةً وَمَا تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٥] ، أي لم يرهن أحد من قبل . فالتشبيه في هذه الآية أعطى صورة المشبه بدقة ، وأظهر ما تتجمل به الحور العين من الألوان الحسنة وذلك لترغيب المؤمن فيهن ، حتى يعمل ويطيع الله كل الطاعة لينال ذلك يوم القيامة ، والغرض الرئيس من هذا التشبيه هو التشويق لما في الجنة من نساءٍ والتتعم بهن (٧٤) .

ومنه أيضاً: ﴿كَانَ هُنَّ أَلْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٨]

فشبههن بالياقوت والمرجان اللذان هما من أنفس الأشياء الجميلة التي لا مثيل لها .

أثر المناسبة في تشبيه الذين كفروا وهم يأكلون ويتمتعون شبهمم بالأنعام .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]

المشبه: الكافرون يأكلون ويتمتعون .

المشبه به: شأنهم في تمتعهم وأكلهم كما تأكل الأنعام.

أداة التشبيه: (الكاف) .

وجه الشبه: البلادة والغباء .

غرض التشبيه: تحقيرهم والحط من شأنهم .

عندما كفروا بأنعم الله تعالى في الحياة الدنيا وجعلوها أكبر همهم ومبتغى علمهم فإنه تعالى شبههم بالدواب وقال: يتمتعون (في الدنيا كأنهم أنعام ، ليس لهم هممة إلا بطونهم وفروجهم ، ساهون عما في غداهم) (٧٥).

فهم بخلاف المؤمن الذي يتعبد ويسعى في الأرض طالبا رضا الله سبحانه وتعالى ويجاهد في سبيل الله ، وقيل: (إن المؤمن يتزود ، والمنافق يتزین ، والكافر يتمتع) (٧٦).

وفي ذلك أثر واضح للمناسبة إذ إن في الآية (جواب لسؤال يخطر ببال سامع قوله { بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم } عن حال المؤمنين في الآخرة وعن رزق الكافرين في الدنيا ، فبين الله أن ولايته المؤمنين أن يعطيهم النعيم الخالد بعد النصر في الدنيا ، وأن ما أعطاه للكافرين في الدنيا لا عبرة به لأنهم مسلوبون من فهم الإيمان فحظهم من الدنيا أكل وتمتع كحظ الأنعام ، وعاقبتهم في عالم الخلود العذاب) (٧٧).

فشبههم الله تعالى بالأنعام التي تأكل وتمتع ولا سبيل لديها غير ذلك ، فكما أن هذه الأنعام تتمتع وتأكل ولا تدري ما الذي ينتظرها من أجل ، كذلك الكافرين لا يبهوا من شيء واتخذوا دينهم سخرية وحياتهم لعباً ولهواً ، وفعل ما حرّمه الله عليهم، وملء بطونهم بالحرام من أكل للربا ، وأكلهم أموال الناس بالباطل فهم في غفلة عما ينتظرهم من أجل ، كهذه الأنعام التي تساق إلى الجزار ليذبحها وهي تسير ولا تعلم بما ينتظرها ، فهم (ناسين ما أمر الله ، معرضين عن لقائه بل عن الموت أصلاً بل



يكون ذكر الموت حائثاً لهم على الانهماك في اللذاتِ مسابقةً له جهلاً منهم فهم يأكلون على سبيل الاستمرار أكل التذاذِ ومرح في أيِّ موضع كان وكيف كان الأكل من غير تمييز للحرام من غيره لأنَّ الله _تعالى_ أعطاهم الدنيا ووسَّعَ عليهم فيها وفرَّغهم لها حتى شغلهم عنه هواناً بهم وبغضاً لهم لأنَّه علم حالهم قبل أن يوجدهم^(٧٨).

فوجه الشبه بينهم وبين الأنعام التي لا تعرف أين تتقاد ، وهذا حال الكفَّار الذين يقادون إلى جهنَّم ، والأنعام تقاد الى الجزار ليذبحها .

أثر المناسبة في تشبيه الذين لا يعلمون علم الآخرة بالعمى .

﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل: ٦٦] ،

شبه الله تعالى الذين كفروا وليس لديهم علم بالآخرة لعدم إيمانهم بالله تعالى ورسوله بالعمى ، لمشابھتهم في عدم الإدراك والإيمان بالله وباليوم الآخر ، لغرض تقيحهم والحط من شأنهم ، وحذفت الأداة لشدة الشبه بينهما ولبلاغة التشبيه، والتشبيه مؤكداً مفصلاً ؛ لحذف الأداة ووجود وجه الشبه.

الله سبحانه وتعالى حكيم عليم ، خلق كل شيء بقدر ، ومنذ أن خلق الخلق جعل لكل واحد منهم أجلاً ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ آزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بَإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨] ، ومن حكمته جلّ وعلا جعل أمر الساعة مجهولاً لدى الخلق ، فهو الذي يعلم علمها وحده فقد تفرّد بعلم الغيب ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥] ، وعلى هذا انقسم الخلق على فرقتين: فرقة آمنّت بوجود الله وعلمه للغيب وصدّقت رسوله وهم المؤمنون ، وفرقة كذّبت بالبعث والنشور ولم تؤمن بيوم الوقت المعلوم وهم الكافرون ﴿وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩] ، فظنوا أنّهم لا يُبعثون .

ولعظم أمر الساعة ذكرها الله في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، والإيمان بالله واليوم الآخر أحد أركان الإيمان الخمس. ويتضح أثر المناسبة في سياق الآية الكريمة إذ إنّ الله سبحانه وتعالى (لما ذكر أنّ العباد لا يعلمون الغيب ، ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه ، وكان هذا بياناً لعجزهم ووصفاً لقصور علمهم ، وصل به عندهم عجزاً أبلغ منه ، وهو أنّهم يقولون للكائن الذي لا بدّ أن يكون - وهو وقت جزاء أعمالهم - لا يكون مع أنّهم عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به)^(٧٩).

فكأنّ الله سبحانه وتعالى قال: (كيف يعلمون الغيب مع أنّهم شكّوا في ثبوت الآخرة التي دلّت الدلائل الظاهرة القاهرة عليها فمن غفل عن هذا الشيء الظاهر كيف يعلم الغيب الذي هو أخفى الأشياء)^(٨٠).

فالقِيامة (توالى أمرها وتتابع الحديث عنها عند كلّ الرسل ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرْتُمْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِضْنَاهُمْ لَنَا وَلِلَّذِينَ هَلَكَ أَوْلَاؤُنَا فَإِنَّمَا هُمْ عَنْ آبَائِنَا ضَعِيفَةٌ مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

الأعراف: ٣٨] ، إذن تتابع الإعلام بالآخرة عند كُلِّ رسل الله ، فما منهم إلا وقد دعا إلى الايمان بالله وباليوم الآخر ، وأتى بالدليل عليه ، ومع متابعة التذكير بالآخرة قال عنهم فلم يهتدوا ، ولو تفتحت عيونهم وقلوبهم لآمنوا بها فأيات البعث والقيامة موجودة ومتداركة ، لكنَّ الناس عموا عنها فلم يروها^(٨١). وقد أثبت الله ضلالهم عن الآخرة في قوله { بل هم عنها عمون } إذ إنَّهم عميان عن شأن الآخرة (فشبه ضلالهم بالعمى في عدم الاهتمام الى المطلوب تشبيه المعقول بالمحسوس إذ جعل عماهم وضلالهم في إثبات الآخرة كأنَّه ناشئ لهم من الآخر إذ هي سبب عماهم، أي إنكارها سبب ضلالهم)^(٨٢).

فبالغوا وشكَّوا في أمر الآخرة وأنكروا وجودها (وما هي إلا بيان درجاتهم ووصفهم أولاً بأنَّهم لا يشعرون وقت البعث ، ثم بأنَّهم لا يعلمون أنَّ القيامة كائنَّة ، ثم بأنَّهم يخبطون في شكٍّ ومريَّة ، ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى وفيه كُتَّةٌ بلاغيَّةٌ وهي أنَّه _تعالى_ جعل الآخرة مبدأ عماهم فلذلك عدَّاهُ بـ{من} دون {عنه} ، لأنَّ الفكر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم)^(٨٣).

الخاتمة

بعد جهدٍ جهيدٍ ومسيرةٍ شاقّةٍ من الدراسة والاستقصاء ، توصلَ البحثُ في دراسة موضوعٍ جديدٍ ومهمٍّ ألا وهو (المناسبة وأثرها في التشبيهات القرآنيّة) ، وهو موضوعٌ مهمٌّ وبخاصّةٍ أنّه يدرسُ أعزَّ ما يملك المسلمون ، إنّه القرآن الكريم الذي أنزله تعالى ليكون دستوراً لهم ، إذ كانت هذه الدراسة بفضل الله تعالى مسيرة مؤنسةً في رحاب الكتاب العزيز ، ومن خلال هذه المسيرة توصلنا إلى أبرز خصائص هذا الموضوع وفي ما يأتي خلاصة ما توصلنا إليه :-

- ١- علمُ المناسبة علمٌ جليلٌ قلَّ اعتناء الدارسين به ، لدقّته وإلى ما يجرُّه من التكلّف في ما خفي من بعض وجوه المناسبة بين الآيات والسور ، فلم يخض غماره إلا الملمّين بعلم الكتاب والسنة .
- ٢- وضّح البحثُ أهميّة علم المناسبة وأكدّ على أنّ الإجابة فيه تتوقّف على معرفة القصد من التشبيه وما يتركه من أثرٍ عليه ، فكان علم المناسبة في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة البيان من النحو .
- ٣- أوضح البحثُ مدى الترابط بين آيات القرآن الكريم وسوره ، وألفاظه ودلالاته ومعانيه ، والمناسبة بين التشبيهات في السورة الواحدة ، ممّا ساعد في اكتشاف الأسرار الخفيّة في النظم القرآني المعجز الذي أودعه الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز ، إذ إنّه لا تخلو آيةٌ من آياته إلا وبينها وبين ما سبقها من آياتٍ تناسبٌ وترابطٌ وثيقٌ يجعل العالم الذي يكتشف هذه المناسبة بين الآيات يخزُّ ساجداً تعظيماً لله تعالى ولبلابة كتابه العزيز .
- ٤- اتّضح علم المناسبة والأثر الذي يتركه في التشبيهات القرآنيّة ، من خلال الوقوف على أقوال وآراء العلماء الأجلّاء ، أمثال الزمخشري والقرطبي وفخر الدين الرازي وابن عاشور وغيره من العلماء .
- ٥- إنّ المناسبة شرطٌ في صحّة التشبيه ، إذ إنّ التشبيه يشكّل رابطاً أساسياً في النصّ القرآني ، تتوقّف عليه دلالة الجمل في آياتها والآيات في سورها ، والسور في النظم المعجز الذي تحدّى به الله عزّ وجلّ أهل البلاغة والفصاحة من العرب ممّا أتاح له صفة الخلود عبر العصور .
- ٦- كثرة التشبيهات القرآنيّة وجمالها ، إذ إنّه اشتمل على جميع ألوان التشبيه التي عرفتها العرب ومنها .
أمر الله تعالى بني اسرائيل بعبادته وحده لا شريك له ، والعمل بكتابه وإتباع أنبيائه ، لكنهم لم يلتزموا بما أمرهم ربهم جلّ وعلا فشبّههم بالكلب الذي يلهث قال تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ بِئَاتِيْنَا فَاسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

أنّ بني اسرائيل قد اخفوا حقيقة النبوة وما أخبرهم الله تعالى عن رسوله الكريم محمد ﷺ وما تضمنته التوراة من أحكام وأعمال لم يعملوا بها فاستحقوا ما مثلهم به الله بأبلك الحيوانات وهو الحمار ، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ



حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ [الجمعة: ٥]، وغيرها ممَّا مرَّ ذكره في فصول الرسالة

الهوامش:

- (١) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة: ١٩
- (٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣٠٢/١، وينظر نظم الدرر: ١١٨/١
- (٣) ينظر الكشاف، الزمخشري: ١٩٠/١، تفسير الرازي: ٨٠/٢
- (٤) ينظر تفسير الطبري: ١٤٠/١، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي: ١٠٠/١
- (٥) ينظر تفسير القرآن الكريم، عبدالله شحاته: ٣٦/١، البحر المحيط، ابي حيان الاندلسي: ٢٠٩/١
- (٦) أبو فرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي: ٤٠/١-٤١
- (٧) المناسبة في نظم القرآن البياني في تفسير أبو السعود، أطروحة دكتوراه، خالد مظهر العيساوي: ١١٣.
- (٨) ينظر نظم الدرر: ٧٧/١
- (٩) البحر المحيط، ابي حيان الأندلسي: ٢٠٩/١
- (١٠) بدائع التفسير، ابن القيم الجوزية: ١٠٠/١
- (١١) تفسير الرازي: ٨٢/٢
- (١٢) بدائع التفسير، ابن القيم الجوزية: ٩٩/١
- (١٣) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤٦/١
- (١٤) الجمان في تشبيهات القرآن، ابن نايقا البغدادي (ت ٤٨٥ هـ): ٦٤
- (١٥) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، سامي محمد هشام: ٧٧
- (١٦) ينظر تفسير القرطبي: ٣٨٧/٩
- (١٧) الكشاف: ٥٣٢/٢، وينظر زاد المسير، ابن الجوزي: ٢٩٠/٣، العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير، خالد بن عثمان السبت: ١٧٠١/٤، وينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣٨٧/٩
- (١٨) ينظر بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية: ٤٢٦/١-٤٢٧.
- (١٩) ينظر المصدر نفسه: ٤٢٧/١، وينظر في ظلال القرآن: ٢٠٥١-٢٠٥٢
- (٢٠) العذب النمير في مجالس الشنقيطي: ١٧٠١/٤
- (٢١) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦، وينظر الإعجاز في نظم القرآن الكريم، محمود السيد شيخون: ٩٦
- (٢٢) تفسير الرازي: ٦٠/١٥، وينظر تفسير أبي السعود: ٤٣٤/٢، وينظر التحرير والتنوير: ١٧٧/٩
- (٢٣) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقيجي: ١٧٨، وينظر التشبيه في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، سلامة جمعة: ٩٦

- (٢٤) التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب: ٤٥
- (٢٥) ينظر المحرر الوجيز : ٣٠٧/٥ ، وينظر تفسير الرازي: ٥/٣٠
- (٢٦) الكشاف: ١١١/٦
- (٢٧) الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٦/٢٠
- (٢٨) ينظر بدائع تفسير ابن قيم الجوزية : ١٤٥/٣
- (٢٩) المصدر نفسه : ١٥٥/٣
- (٣٠) نظم الدرر : ٥٦/٢٠
- (٣١) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، بسيوني عبد الفتاح فيود: ٧٠
- (٣٢) الكشاف: ٢٦٣/٦، وينظر التحرير والتنوير: ٣٢٩/٢٩ ، نظم الدرر: ٧٧/٢١
- (٣٣) تفسير الرازي: ٢١٢/٣٠
- (٣٤) نظم الدرر: ٧٧/٢١
- (٣٥) التحرير والتنوير : ٣٢٩/٢٩
- (٣٦) بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية : ٢٢٣/٣ وينظر المحرر الوجيز : ٣٩٩/٥ ، تفسير ابن كثير: ١٩٠/٤
- (٣٧) التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن ، عبد العزيز بن صالح العمار : ٢٣
- (٣٨) ينظر الأمثال في القرآن الكريم، محمود بن الشريف: ٤٧
- (٣٩) زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين ابن الجوزي : ١٩١/١ ، وينظر الجامع لأحكام القرآن: ١٩٠/٣
- (٤٠) تفسير الرازي: ١١٤/٥
- (٤١) الجامع لأحكام القرآن : ١٩٠/٣
- (٤٢) البحر المحيط: ٥٥/٢
- (٤٣) نظم الدرر : ٧٨/٣
- (٤٤) ينظر أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير: ٧٩
- (٤٥) الكشاف: ٤٣٤/١
- (٤٦) زاد المسير : ٢٥٢/١
- (٤٧) تفسير الرازي: ٧٥/٦ ، وينظر الجامع لأحكام القرآن: ٧/٣ ، البحر المحيط: ١٨٠/٢
- (٤٨) نظم الدرر: ٢٨٠/٣
- (٤٩) ينظر تفسير الرازي: ٢١٠/١٢
- (٥٠) البحر المحيط: ١١٢/٤ ، وينظر تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين النيسابوري ٦٩/٣:

- (٥١) التحرير والتنوير: ١٩٢/٧
- (٥٢) المصدر نفسه: ١٩٣/٧
- (٥٣) نظم الدرر: ٩٣/٧
- (٥٤) ينظر تفسير الرازي: ٢١١/١٢
- (٥٥) الكشف: ٥٠٦/١
- (٥٦) البحر المحيط: ٣٤٦/٢
- (٥٧) ينظر تفسير البغوي: ٣٤١/١
- (٥٨) البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، فضل حسن عباس: ٩١
- (٥٩) الكشّاف: ٢١٠/٥
- (٦٠) ينظر تفسير البغوي: ٤٠/٧، البحر المحيط: ٣٤٥/٧
- (٦١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٥/١٨
- (٦٢) ديوان أمرئ القيس: ١٣
- (٦٣) نظم الدرر: ٢٣٢/١٦
- (٦٤) البحر المحيط: ٣٤٥/٧
- (٦٥) ينظر البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: ١٦٦
- (٦٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٧/١٩، وينظر البحر المحيط: ٧٧/٨
- (٦٧) المصدر نفسه: ٢٥٧/١٩
- (٦٨) التحرير والتنوير: ٨٩/٢٦
- (٦٩) نظم الدرر: ٢١٥/١٨
- (٧٠) الكشف: ٤٦٨/٤
- (٧١) تفسير الرازي: ٢١٢/٢٤
- (٧٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي: ١٠٨٣٦
- (٧٣) التحرير والتنوير: ٢٢/٢٠
- (٧٤) تفسير الرازي: ٢١٢/٢٤

قائمة المصادر والمراجع

- 📖 - أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ، محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- 📖 - الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، دار الآفاق العربية ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- 📖 - الإعجاز في نظم القرآن ، محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة - مصر ، ط١ ، ١٩٧٨م .
- 📖 - الأمثال في القرآن الكريم ، محمود بن الشريف ، دار عكاظ - جدة ، ط٢ ، دت .
- 📖 - البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهيد بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م .
- 📖 - البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٤م .
- 📖 - البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر ، ط١٠ ، ٢٠٠٥م .
- 📖 - البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير ، د.مط ، ط٢ ، ١٩٩٩م .
- 📖 - التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٤م) ، الدار التونسية للنشر ، ط١ ، ١٩٨٤م .
- 📖 - التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، د. واجدة مجيد الأطرقي ، دار الحرية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٨م .
- 📖 - التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن ، عبد العزيز بن صالح العمار ، د.مط ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- 📖 - التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٦ ، ٢٠٠٢م .
- 📖 - التفسير الكبير المشتهر بالتفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، محمد فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر المشتهر بالرازي (ت٦٠٤هـ) ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م .

📖 - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٥٦١هـ) ، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

📖 - الجمان في تشبيهات القرآن ، عبدالله بن الحسين ابن ناقيبا البغدادي (ت ٤٨٥هـ) ، تحقيق محمود حسن أبو ناجي الشيباني ، مركز الصف الإلكتروني ، السعودية ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .

📖 - العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، تحقيق خالد عثمان السبت ، دار ابن القيم للنشر المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .

📖 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود و علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

📖 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .

📖 - النظم القرآني في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، عقيد خالد حمودي العزاوي ، دار العصماء ، سورية - دمشق ، ط ١ ، ١٤٣٣ هجرية - ٢٠١٢ م .

📖 - بدائع التفسير الجامع لما فسره الامام ابن قيم الجوزية ، جمعه وخرج أحاديثه يسرى السيد محمد ، راجعه صالح أحمد الشامي ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٧ هجرية .

📖 - بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تحقيق حنفي محمد شرف ، نهضة مصر ، دط ، دت .

📖 - تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تحقيق حنفي محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة - مصر ، دط ، ١٣٨٣ هجرية .

📖 - تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ) ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ، مطبعة السعادة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دط ، دت .

- ١- تفسير البغوي معالم التنزيل ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرون ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- ٢- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ٣- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرون ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- ٤- تفسير القرآن الكريم ، عبدالله شحاته ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة - مصر ، ط ١ ، دت .
- ٥- خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم ، محمد متولي الشعراوي ، اشراف حسين محمد ، قطاع الثقافة ، ط ١ ، دت .
- ٦- ديوان أمري القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط ٥ ، دت .
- ٧- زاد المسير في علوم التفسير ، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٩٨٤ م .
- ٨- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) ، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .
- ٩- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م .
- ١٠- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة - مصر ، ط ٣٢ ، ٢٠٠٣ م .
- ١١- مناهل العرفان في إعجاز القرآن ، محمد عبد العظيم الرزقاني ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- ١٢- نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، سامي محمد هشام حريز ، دار الشروق للنشر ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ١٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، دار الكتب الإسلامي ، القاهرة ، ط ١ ، دت .



مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية المجلد (٢٥) العدد (١) كانون الثاني (٢٠١٨) ربيع الثاني ١٤٣٩ هـ

📖_ التشبيه في القرآن الكريم (دراسة اسلوبية) ، رسالة ماجستير ، سلامة جمعة عطا العجاليين ، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٤ م .

📖_ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦ م .

Conclusion

Post much efforts and arduous studies and inquiries, the research has finally arrived to the study of a new and important topic, that is (the effect of approximation in the similes of the holy Quran) which is a very important topic Particularly it researches in the Muslim people is dearest possession which is the holy Quran which was resealed by Allah almighty to be a constitution for them. This study has been a pleasant endeavor on the chapters of the holy Quran. Through this process, we have reached to the most prominent characteristics of the subject as follows:

- 1- The science of approximation is a revere science which has received a scarce attention by the burden of finding out about what has been concealed of some aspects of the a approximation between suras and verses. Therefore, it has only researched but by those who are familiar with the science of the Quran and Sunnah.
- 2- The research has explained the importance of approximation and confirmed that mastery of it depends on the knowledge of the intent of the simile and its results. The is why the science of approximation was such an invaluable and science and its percentage was as the percentage of rhetoric versus grammar.
- 3- The research has also explained the extend of interdependence between the verses of the Quran and its suras, words, meaning as well as approximation among in the individual Sura which helped in the discovery of the hidden secrets in the holy Quran is miraculous composition which has been set by Allah almighty. As all of its verses contain proportionality and firm coherence that makes the scholar who discovers this approximation among the verses fall down in prostration, out of respect to Allah and to the eloquence of his holy Book.
- 4- The science of approximation and the results that it causes in the Quranic similes have been declared by relying on the statements and opinions of eminent scholars such as Zamakhshari, the Cordovan, Fakhraldin Arrazi, Ibn Ashour and others.
- 5- The approximation is a condition in the veracity of simile as forms as essential link in the Quranic text that that the semantics of sentences in their verses and the versus in their suras depend on it and the surasn in
The miraculous composition by which Allah Almighty has defied the people of rhetoric and eloquence of the Arabs, which earned it the status of immortality through the ages.

6- The frequent similes and Quranic beauty, as it contains all the colors of metaphor known to Arabs including:

a- That Allah has ordered the children of Israel to worship him all alone with no partner and to work with his book and to follow his prophets, but they did not abide by what the lord has ordered them with. So he resembled them to the panting dog as he said in the holy Quran:

Relate to them the story of the man to whom we sent our signs, but he passed them by: so Satan followed him up, and he went astray. If it had been our will, we should have elevated him with our signs: but he inclined to the earth, and followed his own vain desired. His similitude is that of a dog: if you attack him, he lolls out his tongue, or if you leave him alone, he (still) lolls out his tongue. That is the similitude of those who reject our signs: so tongue. That is the similitude of those who reject. Al-ARAF (THE HEIGHTS) 175-176

b- The children of Israel has concealed the fact of prophecy and what they had been told by Allah about his kind messenger Muhammad (pbuh), and what has the Tora contained of provisions and deeds which they did not work with, so they deserved to be resembled with the dumbest animals that is the donkey, as Allah said:

The similitude of those who were charged with the (obligations of the) Mosaic Law, but who subsequently failed in those (obligations), is that of a donkey which carries huge tomes (but understands that not). Evil is the similitude of people who falsify the Signs of Allah: and Allah guides not people who do wrong. AL-Jumua(The congregation, friday: 5)